دور المراكز العلمية بالجنوب التونسي في الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية لمنطقة وادي سوف

The role of scientific centers in southern Tunisia In preserving the Arab and Islamic identity of the Oued Souf region

د/ محمد العيد قدع
جامعة الوادي (الجزائر)
Fadrod077@gmail.com

****

ملخص: تتناول هذه الدراسة؛ أهم رافد للحياة العلمية بوادي سوف أثناء فترة الاحتلال الفرنسي، وهي المراكز العلمية بالجنوب التونسي، وأهمها الزوايا وفروع الزيتونة بجنوب تونس، التي كان الطلبة السوافة يشدّون إليها الرحال نهلا للعلم وتوقا للمعرفة، وقد أبرزنا أمثلة من طلبة العلم من أهل سوف الذين كوّنوا أشبه بالبعثات العلمية الحرة نحو الجنوب التونسي، وبعد تخرج هؤلاء الطلبة وعودة أغلبهم إلى ديارهم، كان لهم تأثير بارز، في تولي مهمة تعليم أبناء المنطقة من طلاب العلم، ولم ينحصر دورهم في ميدان العلم، بل لهم دور جليل في ميدان الإصلاح، والوقوف سدّا منيعا أمام المخططات الاستعمارية الرامية للقضاء على الدين الإسلامي، ومحاربة اللغة العربية، وبالتالي كان من أبرز الأعمال الجليلة لأبناء سوف المهاجرين لمنطقة الجنوب التونسي قصد طلب العلم، هو الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية للمنطقة.

كما يبين هذا البحث بوضوح؛ حركة الهجرة المستمرة والحثيثة بين منطقتي وادي سوف والجنوب التونسي، ومتانة الأواصر بين المنطقتين، وكيف كان طلبة سوف حلقة وثيقة تربط منطقتهم والبلاد التونسية خاصة جنوبها.

الكلمات المفتاحية: وادي سوف؛ الجنوب التونسي؛ التعليم العربي الإسلامي؛ البعثات العلمية؛ حركة الإصلاح.

Abstract :
This study deals with; The most important tributary to scientific life in Oued Souf during the period of the French occupation, which are the scientific centers in southern Tunisia, the most important of which are the corners and the Zaytuna branches in southern Tunisia, to which the Swafa students used to travel for knowledge and a yearning for knowledge. Al Hurra towards the south of Tunisia, and after the graduation of these students and the return of most of them to their homes, they had a prominent influence in assuming the task of educating the people of the region from the students of knowledge, and their role was not limited to the field of science, but rather they had a great role in the

field of reform, and standing as an impenetrable barrier against colonial plans Aiming to eradicate the Islamic religion, and to fight the Arabic language, and thus one of the most prominent works of the sons of Souf who immigrated to the southern Tunisian region in order to seek knowledge, is to preserve the Arab and Islamic identity of the region.
As this research clearly shows; The continuous and intense migration movement between the regions of Oued Souf and southern Tunisia, the strength of the bonds between the two regions, and how the students of Souf were a close link linking their region and Tunisia, especially its south.
Keywords:
Oued Souf; southern Tunisia; Arab Islamic education; scientific missions; reform movement.

1. مقدمة

إن من أهداف الهجرة السعي لطلب العلم، وانطلاقا من هذا الهدف كانت أعداد كبيرة من طلبة العلم، يتركون أوطانهم، ذهابا إلى منابع العلم والمعرفة، فكانت تونس وخاصة جنوبها، قبلة لطلبة العلم من وادي سوف، ومردّ ذلك وجود مراكز علمية مزدهرة، أوّلها جامع الزيتونة وفرعه بتوزر، وكذلك زوايا توزر ونفطة.. وما تحتويه هذه المراكز تحت أساطينها، من شيوخ للعلم، أصحاب الصيت الذائع والعلم الغزير، وهو الأمر الذي كانت له انعكاساته على منطقة سوف، لاسيما العلمية منها، ما شكّل سدا منيعا أمام السياسة الاستعمارية الرامية إلى هدم الهوية العربية والإسلامية للمنطقة.

من هنا يمكننا التساؤل: كيف ساهمت المراكز العلمية بالجنوب التونسي في الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية لمنطقة وادي سوف؟

تهدف هذه الدراسة أساسا إلى معرفة الدور البارز الذي لعبته المراكز العلمية بالجنوب التونسي، في ترقية الحياة العلمية لمنطقة وادي سوف، ومن ثم ترسيخ التعليم العربي والإسلامي، وانعكاسه على الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية، بالإضافة إلى أن هذا البحث يبيّن بشكل واضح متانة العلاقات بين منطقتي سوف والجنوب التونسي.

وفي تتبع المادة العلمية للموضوع انتهجنا المنهج التاريخي السردي، والاستعانة بالمنهج التحليلي عند التعرض لبعض المعلومات، بغية قراءة الأحداث قراءة تكون أقرب ما تكون للموضوعية.

2- السياسة الاستعمارية في الجزائر لمحو الشخصية العربية والإسلامية

كانت خطة الاحتلال الفرنسي للقضاء على الشخصية العربية والإسلامية للجزائر تتمثل في ضرب المنظومة التعليمية، فعمد إلى سياسة تجهيل الجزائريين، لعلمه بأن العلم هو المحرك للأمم، المنّور للعقول والمجلّي للبصائر، فتوجه إلى إخماد صوته في البلاد، وما فتئ يبذل جهده لهدمه، بمعاول منها[1]:

(1) يحي بوعزيز: **أوضاع الجزائر خلال ثورة أول نوفمبر** ، مجلة الشهاب الجديد، عدد 03، الجزائر، 2004.

– **القضاء على مؤسسات التعليم** : المتمثلة في المساجد والزوايا 2، إما بهدمها أو بتحويلها إلى
كنائس[3] أو بيعها وكرائها[4].

– **مصادرة الأحباس**: حيث بدأ بالسطو عليها من بداية الاحتلال، ثم اتخذ منحى قانونيا بقرار دي بورمون " De Bourmont" 08 سبتمبر 1830م الذي يحدد ملكية الدولة 5 وكانت هذه الأحباس تغطي نفقات تيسير المرافق الدينية، ورواتب القائمين عليها من مديرين وقيّمين ومدرسّين تكفيهم التكلف لطلب الرزق، وتعين طلبة العلم خاصة المعسرين منهم[6].

– **إصدار القوانين المجحفة** : التي تحدّ من النشاط التعليمي الحرّ، ومنها قانون 18 أكتوبر 1892، الذي يمنع أي معلم مسلم من إدارة أو فتح مكتب لتعليم اللغة العربية إلا بترخيص مسبق، أما قانون 24 ديسمبر 1904م، فإنه وضع شروطا لفتح هذه المدارس أهمها: عدم تدريس اللغة العربية وآدابها، ولا الشريعة الإسلامية الغراء، ولا تاريخ الجزائر وجغرافيتها،

ص286

(2) لأن هدم مسجد يعني هدم مدرسة ، ومكتبة، ومكان للإرشاد والتوعية، ومأوى للطلبة...وغيرها. محمد مورو: **الجزائر تعود لمحمد**ﷺ، المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر1992م. ص 88.

(3) على سبيل المثال كان بمدينة الجزائر قبل الاحتلال 112 مسجدا بقي منها 05 مساجد، حوّلت سلطات الاحتلال أكابرها إلى كنائس، ومنها جامع كتشاوة "حوّل كاتدرائية" وجامع علي بتشين "أصبح قديسة الانتصار"، ومنها ما حوّل إلى مراكز للشرطة وحتى اسطبلات للخيول، وهدم الباقي، ووقع نفس الشيء لزوايا المدينة، ومنها زاوية المولى حسن، وزاوية شختون.. وقس على ذلك للمؤسسات الإسلامية في باقي المدن. أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية** ، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط 4، 1992م. ج1/ص 251 و ج2/ ص ص62-63؛ وأيضا: عبد الرشيد زروقة: **جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913-1940)**، دار الشهاب، بيروت- لبنان، 1420/1999. ص 27.

(4) أنظر أحمد توفيق المدني: **هذه هي الجزائر** ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1956. ص ص140-143. وأبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية...المرجع السابق. ج 2/ص61. وكذلك عمار عمورة: **موجز في تاريخ الجزائر**، دار ريحانة للنشر والتوزيع، القبة- الجزائر، 2002م. ص124.

(5) يحي بوعزيز: **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954**، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007. ص ص66، 67. وكذلك عبد الكامل عطية: (11/10 نوفمبر2013)، **نماذج من الرحلات العلمية للطلبة "السوافة" نحو القطر التونسي قبل اندلاع الثورة التحريرية 1954م**، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التواصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.

(6) أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية.. المرجع السابق. ج 1/ص 252. كذلك: عبد الرشيد زروقة: المرجع السابق. ص 26 وأيضا: رابح فلاحي: (1428هـ/2007-2008م)، **جامع الزيتونة والحركة الاصلاحية في الجزائر 1908-1954**، (ماجستير التاريخ الحديث والمعاصر)، قسم التاريخ وعلم الآثار- كلية العلوم الانسانية والاجتماعية- جامعة منتوري- قسنطينة، الجزائر. ص03.

ولا المواد العلمية والرياضية، وأن يكون المدرّس مواليا لإدارة الاحتلال، وأقله ليس معارضا لها[7].

– **محاربة اللغة العربية** : منذ وطئت أقدام الاحتلال أرض الجزائر اعتبر العربية لغة أجنبية، ولما سمح لبعض الجزائريين بدخول المدارس الرسمية، كان تعليمهم فرنسيا بحتا، فاللغة هي الفرنسية، والوطن والتاريخ هو فرنسا وتاريخها المجيد.. !![8]، وكان يريد وأد اللغة العربية وإحلال اللغة الفرنسية بديلا عنها ليكرّس هيمنته على البلاد والعباد[9].

– **محاربة الدين الإسلامي** : وذلك بمنع الاحتكام للشريعة الإسلامية واستبدالها بالقانون الفرنسي، وفي بعض المناطق للعادات والأعراف كما في بعض مناطق القبائل.

ونتيجة هذه الإجراءات يبيّن سارتر Sartre [10]، بأنها جعلت المسلمين شعبا من الأميين، بالارتفاع المهول لنسبة الأمية، التي وصلت إلى 92 % بين الرجال، أما النساء فنادرا ما تجد إحداهن تفكّ الخط، وهذا حتى العشرية الثانية من القرن 20م، وبهذا استحقت فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، لقب عهد الظلام بالنسبة للثقافة والتعليم[11]، وهو ما زعزع الخلفية العربية

---

(7) فرحات عباس: **ليل الاستعمار** ، تر عبد العزيز بوباكير، دار القصبة- الجزائر، 2005م. وعبد الرشيد زروقة: مرجع سابق. ص25-31. وأيضا عبد الكامل عطية: مرجع سابق.

(8) جان بول سارتر: **عارنا في الجزائر** ، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، دت. ص 18. وأيضا: أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، المرجع السابق. ص ص 140-141. وكذلك: عبد الرشيد زروقة: المرجع السابق. ص 27. وعبد العزيز الشهي: **الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر** ، دار الغرب للنشر والتوزيع. ص 37. وأيضا تركي رابح: **أصول التربية والتعليم** ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1990. ص395.

(9) علي بن حراث: (11/10 نوفمبر2013)، **أسباب تركيز الرحلة العلمية الجزائرية على تونس** ، مداخلة ضمن الملتقى الدولي حول: التواصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر

(10) **جون بول** شارل ايمارد **سارتر Jean-Paul Sartre** (1905– 1980): فيلسوف وأدبي وناشط سياسي فرنسي، اشتهر لكونه غزير الإنتاج، وبفلسفته الوجودية، أما سياسيا فقد ناصر اليسار المتطرف، دعم سارتر الثورة الجزائرية، وباقي حركات التحرر، لكنه صمت أمام الجرائم الستالينية والانظمة الشيوعية، ودعمه المستميت للصهيونة، وله مؤلفات موالية للصهيونية، مثل كتابه " **تأملات في المسألة اليهودية** "، وأعلن أثناء زيارته إلى تل أبيب: "إن إسرائيل لها الحق في الوجود ويجب أن تَبقى قائمة"، وهو ما يفسر تكريم جامعة أورشليم الاسرائيلية له بلقب الدكتوراه الفخرية عام 7691م، ويفسر كذلك قبوله لهذا الوشاح، وقد عرف عنه رفض التكريمات، ومنها رفضه استلام جائزة نوبل في الآداب سنة 4691م. أنظر عبد الوهاب جعفر: **البنيوية في الانثربولوجيا وموقف سارتر منها** . دار المعارف، مصر، 9891م. ص ص751-951. وكذلك عبد القادر حميد: **لماذا حُرقت كتب جان بول سارتر بالجزائر؟** مقال نشر في جريدة المستقبل الالكترونية، يوم 2010/03/20.

(11) جان بول سارتر: المرجع السابق. ص 18. وأيضا: سعد الله: الحركة الوطنية... المرجع السابق. ج 1/ ص252.

والإسلامية للشعب الجزائري ومنه أهل سوف.

3- المنظومة التعليمية بوادي سوف:

بالنسبة للمنظومة التعليمية في الجزائر –ومنها وادي سوف- منذ احتلالها سنة 1830م إلى أن نالت استقلالها تنقسم إلى قسمين: تعليم رسمي حكومي، تشرف عليه حكومة الاحتلال عبر إدارة التعليم، وتعليم حرّ شعبي، ينتظم في المساجد والكتاتيب والزوايا والمدارس الحرّة.

أ - التعليم الرسمي الفرنسي:

هذا التعليم كرسته إدارة الاحتلال، بسنّ قوانين إجبارية التعليم ومجانيته في الطور الابتدائي[12]، ومن هذه القوانين مرسوم 1883/02/12م بدعم من جول فيري وزير التربية الوطنية الفرنسية، الذي ينص على تطوير التعليم الفرنسي بالجزائر، لأنه يرى أن المدرسة سلاح فعال للتغلب على مقاومة الجزائريين، فانتشرت المدارس الفرنسية بربوع الجزائر [13]، في كل مكان يقطنه المعمّرون [14]، حيث يدرس بها أولادهم، وبعض أولاد المسلمين الجزائريين، الذين تتراوح أعمارهم بين 06 و13 سنة 15، أما التعليم الثانوي فلم يكن له وجود في وادي سوف أثناء الاحتلال.

ومنطقة سوف لم تكن بمنأى عن السياسة الاستعمارية، ومنها في مجال التعليم، فبالنسبة للتعليم الرسمي الذي تشرف عليه حكومة الاحتلال، ظهرت أول مدرسة بالوادي عام 1886م، التي كانت تسمى "مدرسة الأهالي"، وتحتوي على أربعة أقسام وثلاث سكنات للمعلمين، لكن الإقبال عليها كان محتشما في حدود 08 تلاميذ، ثم ارتفع إلى 12 متمدرسا سنة 1890م[16]، ومن سنة تأسيسها عام 1886م إلى سنة 1900م، زاول بها 278 تلميذا، وفي سنة 1893 افتتحت مدرسة أخرى بكوينين بها قسم واحد [17]، أما في سنة 1907 فقد تم إنجاز

---

(12) أحمد توفيق المدني: **جغرافية القطر الجزائري**، مطبعة الشريف، تونس، دت. ص ص87-88. وكذلك: عز الدين معزة: (2009-2010م)، **فرحات عباس والحبيب بورقيبة "دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، 1899-2000"**، (دكتوراه التاريخ الحديث والمعاصر)، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر. ص ص61-62.

(13) عثمان زقب: **(**2006/2005**)، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف 1918-1947 وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا**، رسالة ماجستير، مخ، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر-باتنة، الجزائر. ص ص39-40.

(14) **المعمّرون "les Colones"**: السكان الأوروبيون الذين قطنوا بالجزائر عقب احتلالها، وقد استحوذوا على خيرات البلاد واستأثروا بها دون أصحابها، الذين غدو أجراء مهانون عندهم.

(15) أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، المطبعة العربية، دم، دت. ص 294 وأحمد توفيق المدني: جغرافية القطر الجزائري. ص 88.

(16) Ecole d"indigénes d"Eloued: **Registre Matricule des éléves admis à l"ecole du 1886 à 1904.** السجل بمدرسة ميهي محمد بلحاج – بلدية الوادي.

(17) Ecole primaire preparatoire de garçons de Kuinine: **Registre Matricule des éléves de**

مدرسة بقمار بثلاثة أقسام، ووصل عدد المسجلين بالمدارس الثلاث 100 تلميذ عام 1903م[18]، ويعود هذا الإحجام إلى توجّس الناس منها، خيفة على دينهم[19].

وقبيل الحرب العالمية الثانية كان هناك ثلاث مدارس، في الوادي وقمار وكوينين، وكان بها 429 متمدرسا عام 1938م، منهم 5 تلميذات: فرنسية ومسلمتان ويهوديتان، ثم زاد عدد المدارس، فزاد عدد التلاميذ الذي وصل سنة 1948م إلى 780 تلميذا[20].

بالمحصلة فمنذ استقرار الفرنسيين بوادي سوف عام 1882م إلى خروجهم منها 1962 تمّ إنجاز 25 مدرسة ابتدائية ومتوسطتان، يقتصر وجودها تقريبا في أماكن وجود المعمرين[21].

السنوات	1903	1938	1945	1946	1947
ع. المدارس	03	03	04	05	09
ع. الأقسام	08	08	10	14	21

جدول تطور مؤسسات التعليم الفرنسي في سوف 1903-1947م[22]

السجل بمدرسة ميهي محمد بلحاج – بلدية الوادي. **l"ecole du 01 Octobre 1921.**

(18) Réalisation dans l'annexe d'El-oued, Document Algerien n°21, serie politique, 15 dec 1948. p 79.

(19) إبراهيم العوامر: **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف** ، تعليق الجيلاني العوامر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1397هـ/ 1977م. ص13. وكذلك علي غنابزية: (2008-2009)، **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية** 1300-1374هـ/1882-1954م، رسالة دكتوراه، مخ، قسم التاريخ، جامعة الجزائر. ص 106. وأيضا عبد الكامل عطية: المرجع السابق.

(20) عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية..، المرجع السابق. ص 172.

(21) محمد العيد قدع: **الشيخ الحسين حمادي دوره الاجتماعي ونشاطه العلمي والتربوي بتونس ووادي سوف 1902-1982م**. مطبعة ذويب، الوادي-الجزائر، 2013. ص 33.

(22) Réalisation dans l'annexe d'Eloued: Op. Cit. p 79. La Scolarisation dans les territoires du sud: Réalisation des années 1945-1946-1947, document Algérien N° 14, 15 mars 1948. pp 91-93.

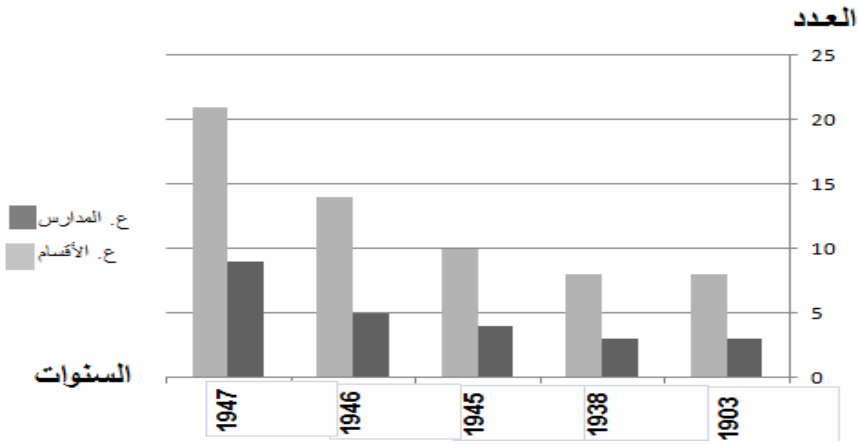

أعمدة بيانية لتطور مؤسسات التعليم الفرنسي في سوف بين 1903-1947م

ومن خلال الأعمدة البيانية يظهر التطور البطيء جدا للمرافق التعليمية، ففي فترة 40 سنة تم بناء 06 مدارس، أما عدد الأقسام فقد زاد بـ 13 قسما فقط. وللترغيب في هذا التعليم عمدت إدارة التعليم إلى إدراج عملية الإطعام المدرسي، الذي استفاد منه سنة 1948م 107 تلميذ من 604، وكانت البرامج فرنسية، وأغلب المعلمين فرنسيين 23، منهم أندري فوازان مؤلف كتاب مونوغرافيا سوف، مع إتباع أساليب لغسل أدمغة التلاميذ الجزائريين، بتلقينهم ما يخالف الحقيقة، ومنها: تدريسهم تاريخ فرنسا وجغرافيتها، وتلقينهم إن بلادنا تسمى قديما بلاد الغال le guale وأجدادنا الغاليون les gualois..[24].

ومع التعليم الابتدائي الرسمي، كان هناك تعليم "فني" مهني، هدفه إيجاد يد عاملة مؤطرة رخيصة وغافلة عن المطالب، لكن لا يغشاها من الجزائريين عدا القليل منهم 25، وبدأ الاهتمام به بداية القرن 20م، حيث تم بناء وتهيئة الورشات الخاصة بدروس التمهين، في تعليم نسيج الزرابي المنشأة بمدرستي الوادي وقمار، طبقا للقرار 13 أكتوبر 1908م 26، حيث لقي تشجيعا من الحاكم العام الفرنسي للجزائر [27]، ثم توسع حسب الأنشطة الاقتصادية المحلية المزاولة، والمواد الخام المتوفرة، مثل النسيج، الحدادة، النقش على الجبس، النجارة..، والانطلاقة الكبرى للتعليم المهني بالوادي كانت يوم 1947/10/01م، بافتتاح مدرسة الدروس

(23) Gouverneur générale de l'Algerie: **Commissariat,** Op. Cit. p 412.

(24) مالك بن خليف: **الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس** ، دار طليطلة، الجزائر، 1432هـ/2010م. ص 76. وأيضا عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية... المرجع السابق. ص 174-176.

(25) المدني: كتاب الجزائر. ص ص 308-311 وجان بول سارتر: المرجع السابق. ص22.

(26) الأرشيف الوطني التونسي: مجموعة A. علبة 278. ملف 1/14. عبد الكامل عطية: المرجع السابق.

(27) Académie d'Alger: **bulletin Scolaire du du département de Constantine "Enseignement primaire"**, n° 7-8-9, Juillet-Aout-septembre, Année 1912. P 277.

المهنية شمال محطة القطار، وبها ورشات النسيج والنجارة والحدادة ومصبغة ومخبر..[28].

إلا أن التعليم الفرنسي شهد ضعف الإقبال عليه من طرف الأهالي، خوفا على دينهم من الفرنسيين "الكفار"، ويقول الشيخ حمزة بوكوشة [29] في هذا الصدد: "كنا نفر من الفرنسية فرار السليم من الأجرب، لأننا لقّنا أن قراءة الفرنسية طريق للكفر، إن لم يكن هو الكفر بعينه"، كما لعب بعض الشيوخ والأئمة دورا في هذا الاتجاه، مثل تدريس العوامر لكتاب: "إرشاد الحيارى، وتحذير المسلمين من تعليم أولادهم في مدارس النصارى" للشيخ يوسف النبهاني[30].

ب - التعليم العربي الإسلامي "القرآني":

وبالموازاة مع المنظومة التعليمية الاستعمارية، توجد مراكز تعليمية أخرى، لم تصلها أيادي الاحتلال الآثمة، خاصة في المناطق النائية بالصحراء، التي بلغتها قوات الاحتلال في وقت متأخر، مثل منطقة وادي سوف، والتي كان التعليم العربي القرآني بها في كتاتيب المساجد والزوايا 31، وإن أصبحت تعاني من تضييق إدارة الاحتلال، فقد كانت بمثابة التعليم الابتدائي لأولاد المسلمين، حسب التوّجه والثقافة الأصيلة للجزائريين[32]. وقد اضطلع بهذا التعليم بعض المشايخ والعلماء، الذين أخذوا على عاتقهم همّ التعليم الأصيل بالجزائر، وبذلك وضعوا بذرة الإصلاح، ثم تبعهم فطاحل في نفس التوجه، ومن العوامل التي ساعدت في ذلك؛ رحلات الحج، وعودة بعض الشباب المتنورين، الذين باشروا دراستهم أو أكملوها، في أقطار عربية، وأهمها تونس سواء في جامع الزيتونة، أو في المراكز التعليمية بالجنوب التونسي[33].

---

(28) Capitaine Ferry: **traveaux dans l'annexe, plan d'urbanisme,** (1947-1948).

وعثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية ... المرجع السابق. ص ص 39-40.

(29) **الشيخ حمزة بوكوشة** 1906-1994م: ولد بوادي سوف، وتلقى تعليمه في الكتاب بين الوادي وبسكرة، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة فواصل به تعليمه بين " 1924-1930"، من المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأبرز ناشطيها، اشتغل بالتعليم والتأليف والكتابة الصحفية، حيث أسس جريدة المغرب العربي بوهران عام 1937، توفي بالجزائر العاصمة وبها قبر. محمد السعيد عقيب: **جمعية الشباب السوفي الزيتوني**، مجلة البحوث والدراسات-المركز الجامعي بالوادي-الجزائر، ع 3، جمادى الأولى 1427هـ/جوان 2006م. ص69. وأبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1998. ص4-43.

(30) إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص 13؛ أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق. ج4 / ص506.

(31) عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية...، المرجع السابق. ص 40.

(32) توفيق المدني: هذه هي الجزائر. ص ص144-145؛ المدني: جغرافية القطر الجزائري. ص90.

(33) سعد الله: الحركة الوطنية... المرجع السابق، ج 2، ص ص 115-119/ج 4، ص ص 163-169؛ رابح فلاحي: (1428هـ/2007-2008م)، **جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر 1908-1954**، (ماجستير التاريخ الحديث والمعاصر)، قسم التاريخ وعلم الآثار- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة منتوري- قسنطينة، الجزائر. ص ص 05- 10.

وهذا التعليم كان يتم بطرق بسيطة للغاية، إذ يشتمل على تعليم الحروف كتابة ونطقا، وحفظ القرآن الكريم، ومبادئ اللغة العربية [34]، مورثة الأسلوب والمضمون، أما وسائله متواضعة، حيث يفترشون الحصير إن توفر، أو يقعدون على الرمل مباشرة، متحلقين حول الشيخ، الذي كان يقوم بالإملاء على التلاميذ آيات من القرآن الكريم، يكتبونها على ألواح من الخشب[35] مطلية بطين الصلصال، ومكتوبة بالصمغ، الذي يتم تحضيره بطريقة تقليدية، ثم يكررون ما كتب على اللوح في الفترة المسائية، ويقرؤونه بأصوات مرتفعة إلى أن يتم حفظ المكتوب، ثم يمحونه في الصباح الموالي، وهكذا تتم عملية الحفظ إلى أن يتم ختم القرآن الكريم، ولا تزال هذه الطريقة المتوارثة، منتشرة في بعض مساجد وادي سوف في تحفيظ القرآن الكريم[36]، وبين الفينة والأخرى يعطي بعض الشيوخ دروسا بسيطة في الفقه واللغة...، على حسب مستوى التلاميذ والظروف، والأهم تكوين الشيخ نفسه.

وكان الشيخ المعلم له هيبة وتبجيل بين السكان، وكذلك الصبي الذي يحفظ القرآن، حيث يولم أهله ويحتفى به [37]، بأن يطاف به في الحي بملابس جديدة، ويتم تقديمه للصلاة بالناس في صلاة التراويح، ويعد مفخرة لوالديه، وشرف للعائلة [38]، وبعض التلاميذ المتخرجين من الكتاتيب بسوف، يواصلون دراستهم في تونس خاصة بجامع الزيتونة [39]. ومن المساجد التي اشتهرت بتعليم القرآن في سوف نجد: جامع الظهارة بحي المصاعبة بالوادي، وجامع أولاد خليفة، وجامع جبيرات، وجامع زاوية سيدي سالم شمالي سوق الوادي، وجامع سيدي المسعود وسط سوق الوادي، وجامع الشيخ الحسين حمادي بالنخلة... وغيرها، دون أن ننسى دور الزوايا بمختلف اتجاهاتها في ذلك[40].

وعن تعداد هذه المرافق التعليمية، فقد كانت منتشرة تقريبا بكل قرية وحيّ [41]، ثم طالتها يد إدارة الاحتلال بالتضييق والمنع، إلا بترخيص مسبق من القائد العسكري، وحسب التقرير

---

(34) أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر. ص ص144-145، وأيضا المدني: جغرافية القطر الجزائري. ص90.

(35) Ahmed Nadjah, Op. Cit. p1080.

(36) أحمد مريوش وآخرون: **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني** ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، 2007. ص18.

(37) إبراهيم شويخ: (2018/2017)، **الرحلات العلمية وأثرها في الحياة الثقافية بمنطقة وادي سوف 1931-1969م**، مذكرة ماستر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي، الجزائر. ص 10.

38 (Ahmed Nadjah: **Le souf des Oasis**, Edition la maison des livres, Alger, 1971. p109.

وعلي غنابزية: **دراسات في تاريخ المقاومة الثقافية بالجزائر للحفاظ على الهوية الوطنية**، مطبعة مزوار، الوادي-الجزائر، 2011. ص21.

(39) A. Nadjah: Op. Cit. p 108.

(40) أحمد مريوش وآخرون: المرجع السابق. ص173.

(41) Ahmed Nadjah, Op. Cit. p108.

السنوي لملحقة الوادي سنة 1938م، فإن عدد المدارس القرآنية التي كان مرخصا لها، بمنطقة سوف 84 مدرسة حرة للتعليم القرآني بها 1576 تلميذ، يضاف لها أربعة مدارس تابعة للزوايا، من ضمنها اثنتان أغلقتهما سلطات الاحتلال، بُعيْد اعتقال شيخ الزاوية القادرية بعميش عبد العزيز الشريف، وتوجدان في عميش والوادي، والأخريان هما مدرسة الزاوية التجانية بقمار وكان بها 54 تلميذا، ومدرسة زاوية سيدي سالم التابعة للطريقة الرحمانية العزوزية التي كان بها 60 تلميذا، منهم من خارج منطقة سوف، خاصة من وادي ريغ وبلاد النمامشة [42]، بالإضافة إلى المدارس الخاصة مثل مدرسة سعدودي ومدرسة القروي[43].

4- المراكز العلمية بالجنوب التونسي مقصد الطلبة السوافة:

إن ما اشتهر من المراكز العلمية التونسية، التي يقصدها طلبة العلم الجزائريين عامة، وطلبة وادي سوف بالخصوص، مركز من أشهر مراكز الإشعاع العلمي في العالم الإسلامي، وهو الجامع الأعظم "الزيتونة"، بيد أن الطلبة السوافة كان لهم مقصد آخر لطلب العلم والمعرفة، وهو المتمثل في المراكز العلمية بالجنوب التونسي، وتوجد كلها تقريبا ببلاد الجريد، وما يجذبهم إلى هذه المنابع، هو وجودها على مقربة من ديارهم، ولا تفصلهم عنه عدا يوم، الكثير منهم يطويها مشيا على الأقدام. ويميّز هذه المدارس زيادة على تقديم مختلف العلوم والفنون للطلبة، أنها تؤمن لهم المسكن والغذاء، عن طريق مختلف الأحباس، التي كانت عماد المجتمع الإسلامي إلى وقت قريب، كما لا ننسى في هذا المجال تبرعات المحسنين، وعليه فلا غرو إذا رأينا الاحتلال يعمد إلى محاربة الظاهرتين، لعلمه أنه بالاستيلاء على الأوقاف، والقضاء على ظاهرة التبرعات وهبات المحسنين، فإنه يقوم بتجفيف المنابع التي تزود هذه المراكز بما يلزمها من احتياجات، وتزيد في حياتها وتواصل نشاطها، بل وازدهار عملها[44].

ومن أبرز هذه المراكز:

الزاوية القادرية بنفطة "لمؤسسها الشيخ إبراهيم بن احمد الشريف".

الزاوية الرحمانية العزوزية بنفطة "لمؤسسها الشيخ مصطفى بن عزوز".

---

(42) Général P. J. André: **Confreries Religieuse Musulmanes,** Edition la maison de livre, Alger, 1956. P 277.

(43) علي غنابزية: **دراسة تاريخية لمناهج تعليم القرآن الكريم بين الماضي والحاضر"** مجتمع وادي سوف نموذجا"، مجلة البحوث والدراسات-المركز الجامعي بالوادي-الجزائر، ع 4، محرم 1428هـ/يناير2007م. ص70.

(44) محمد العيد قدع: **الجهود التعليمية للشيخين ابن عاشور وابن باديس- دراسة مقارنة** ، مطبعة نور للنشر، ألمانيا، 2017. ص 36؛ **هجرة الجزائريين إلى تونس بين تلبية الحاجيات الاجتماعية وإحداث التكامل الثقافي في النصف الأول من القرن 14هـ/20م. (وادي سوف أنموذجا)**، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدوليحول: التواصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 11/10 نوفمبر2013، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.

الزاوية القادرية بتوزر "وأشهر شيوخها المولدي بوعرقية".
المعهد الزيتوني بتوزر "المسمى جامع الفركوس".

5- البعثات العلمية من سوف نحو الجنوب التونسي:

بعدما حيل بينهم وبين نور العلم، وبسبب ضعف مناهله ببلادهم، اضطر أبناء وادي سوف الذين أتيحت لهم الفرص، إلى الاغتراب في سبيل التعليم الذي يلائم توجههم الفكري، وخلفيتهم الثقافية العربية، فكان أغلبهم يؤمّون زوايا الجنوب التونسي، وجامع الزيتونة المعمور، ولاحقا فروعه خاصة فرعي توزر ثم قفصة[45].

1-6 أسبابها:

اجتمعت للهجرات العلمية السوفية، نحو المراكز العلمية للجنوب التونسي، عدة أسباب أهمها:

أ- السبب التاريخي:

إن الرحلة قديمة عند العرب، ولما جاء الإسلام أصبحت لها خصوصيات في مجالات متعددة، ومنها المجال العلمي، ابتداء من طلب العلم وتنمية المعارف وتجديدها، وتلقي الإجازات في مختلف الفنون، مرورا بجمع العلوم والآثار، مثلما فعل جامعي الأحاديث النبوية والسير..، وانتهاء بتعارف العلماء وتواصلهم، والتراث الإسلامي مليء بمدح هذه الهجرة والحضّ عليها، وهو ما دأب عليه أهل سوف، طلبة وعلماء بالهجرة إلى الجنوب التونسي، وبادلهم علماء الجنوب بزيارات لسوف تعارفا وتعرّفا ونشرا للعلوم.

ب - السبب الثقافي:

وهو ازدهار الحياة العلمية بتونس، فقد كانت أرحب مجالا وأكثر اهتماما، مقارنة لما عليه الحال في الجزائر عموما، ومنها منطقة سوف، التي تعاني تخلفا كبيرا في هذا المجال، والملاحظ أن هذه المفارقة موجودة على مر العصور، فقد كانت تونس سباقة في هذا المجال[46]، وما وجود جامع الزيتونة، وفروعه ومنها فرع توزر وقفصة بالجنوب التونسي، إلا مظهر من مظاهر هذا السبق، وهو ما قلل من تأثير السياسة الاستعمارية على الثقافة العربية بتونس، وبالمقابل خلو الجزائر من صرح علمي بحجم الزيتونة[47]، بالرغم من وجود بعض المراكز بقسنطينة وبجاية...، وبعض الكتاتيب البسيطة في المساجد، أو الزوايا الكثير منها شغلها الشاغل هو ربط المريدين بالطريقة الصوفية، أكثر من اضطلاعها بسد الفراغ في المجال الثقافي، مع عملية التضييق التي

---

(45) أبو القاسم سعد الله: **تجارب في الأدب والرحلة** ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م. ص 41.
وأيضا محمد السعيد عقيب: **جمعية الشباب السوفي الزيتوني** ، مجلة البحوث والدراسات-المركز الجامعي بالوادي-الجزائر، ع3، جمادى الاولى 1427هـ/جوان 2006م. ص63.

(46) محمد الطاهر ابن عاشور: **أليس الصبح بقريب؟** "التعليم العربي الإسلامي"، دار سحنون، تونس، ط 3، 2010م. ص99. وكذلك علي بن حراث: المرجع السابق.

(47) أبو القاسم سعد الله، **أفكار جامحة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988. ص56.

مارسها الاحتلال ضد عملية التنوير [48]. وتكتمل الحلقة بسياسة الإبعاد، التي مارسها العدو ضد كل من يلمس فيهم خطرا عليه، وهجرة الآخرين متوجهين إلى قواعد الثقافة التي تلائم تكوينهم، ولم ينصرم النصف الأول من القرن 19م، حتى لم يبق سوى القليل ممن يدافع عن المصالح الحضارية للجزائريين[49].

ج - السبب الجغرافي:

إن المتاخمة الحدودية بين وادي سوف والجنوب التونسي، شكّل ولا يزال جسرا للتواصل المستمر على مرّ العصور، فكان هذا سببا في تحول أنظار طلاب العلم من منطقة سوف، إلى المدارس التعليمية بزوايا الجنوب التونسي، قبل التوجه للزيتونة، لريّ غليلهم في تلقي مختلف العلو[50]م.

د - السبب السياسي:

طبق الاستدمار الفرنسي في الجزائر، سياسة استعمارية مقيتة، مبنية على الحيف والجور، ومن ضمنها محاولة المسخ للهوية الجزائرية، المؤسسة على اللغة العربية والدين الإسلامي، ولا يتأتّى ذلك إلا بمحاربة التعليم العربي وإتباع سياسة تجهيل ممنهجة، بالقضاء على الثقافة الإسلامية، وتجفيف منابعها، ومع وجود الاحتلال في كلا البلدين؛ تونس والجزائر، فلا يجب التغاضي على نوع الاحتلال في تونس "الحماية"، التي هي أقل وطأة وتأثيرا من الاحتلال في الجزائر "الاستعمار المباشر"، فكان هذا سببا قويا في توجيه الهجرة لطلب العلم إلى خارج الجزائر، والأقرب لأبناء سوف هو منطقة الجنوب التونسي[51].

هـ - شهرة المراكز العلمية بالجنوب التونسي:

إن السمعة العلمية التي اكتسبها جامع الزيتونة، ومنها فرعه بتوزر، وكذلك مختلف الزوايا بالمنطقة، مثل زاوية الشيخ ابرهيم بن أحمد القادرية بنفطة، وزاوية الشيخ مصطفى بن عزوز الرحمانية بنفطة 52 كذلك، وزاوية المولدي بوعرقية القادرية بتوزر... وغيرها، جعل

---

(48) أبو القاسم سعد الله، **قضايا شائكة**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990. ص 126.

(49) سعد الله: أفكار...، المرجع السابق، ص62.

(50) محمد الصالح الجابري: **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900م-1962م**، الدار العربية للكتاب، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس والجزائر، 1983م. ص23؛ محمد السعيد عقيب: جمعية...المرجع السابق. ص63.

(51) علي بن حراث: المرجع السابق.

(52) رغم صغر مدينة نفطة آنذاك، فقد كانت تعجّ بشيوخ العلم وحلقاته، وبها الكثير من المساجد، بلغ عددها مع الزوايا 82 مسجدا وزاوية، مما حدا ببعضهم إلى تسميتها بالكوفة الصغرى، وكذلك المدينة المقدسة للجريد. لقاء مع الشيخ حمد توبة، بمنزله بقرية جلمة بلدية المقرن-ولاية الوادي، يوم 2012/01/14، 16:00؛ أوغست–أنطوان دي باتي دي كلام: **ومضات من تاريخ نفطة** ، تع لطفي الطرودي، مطبعة الجريد، نفطة، 2009. ص32.

لكن الأرجح أن مصدر هذه التسمية لانتشار التشيع بها قديما. محمد الصالح مرمول: **السياسة الداخلية**

الطلبة السوافة يشدّون الرّحال إلى هذه المراكز العلمية الشهيرة، بالإضافة إلى ما تمثله هذه المدارس من مراكز جذب روحية، تهفو إليها الأفئدة، وترنو لها القلوب وتشرئب لها الأعناق[53].

أضف إلى ما سبق كفاءة شيوخ العلم هناك، ووزنهم وشهرتهم العلمية، نتيجة تمكنهم العلمي، وخبرتهم الواسعة في هذا المجال، وتنوع المواد الدراسية، حيث يدرس الفرع الزيتوني بتوزر العلوم الحديثة كالرياضيات والفلك والكيمياء ... وغيرها من العلوم[54] وإن كانت بسيطة، وبهذا نستشفّ التطور، الذي وصلت إليه منطقة الجنوب التونسي في تلك الفترة، مقارنة بمنطقة سوف التي تعاني عوزا كبيرا في هذا المجال.

و - المهاجرون السوافة بالجنوب التونسي:

إن وجود السوافة بتونس عموما وببلاد الجريد بصفة خاصة، متّن العلاقات الاجتماعية من جهة[55]، ومن جهة أخرى كان هذا مشجعا لطالب العلم على الانتقال، حيث يوجد من يأنس إليه، ويسليه البعد عن مضارب الأهل، ويتلقّى منهم بعض المساعدات، وفي هذا الإطار يذكر الشيخ مبروك الشامسي: أنه كان يسكن بنفطة ويدرس بالفرع الزيتوني بتوزر، وكان ضريرا ومقلا، فكان يقلّه سائق حافلة أصله من سوف ويدعى العربي بالشاوش مجانا أسبوعا بعد أسبوع، كما كان هناك تاجر من سوف يسمى نصر واجده عرض خدماته على الطلاب السوافة، من كان موسرا يدفع ثمن المقتنيات وإلا عفا الله عنه، كما كان الطلبة النفطيين من رفقته، خير معين له وأحسن عاضد، حيث يهيؤون طعامه وشرابه ويقومون بحاجاته[56].

ز - الطلبة السابقين:

إن الطلبة السوافة العائدين من تونس، خاصة الذين أنهوا دراستهم، أبهروا العامة بعلومهم التي تفوق نوعا وكما، ما هو موجود لدى الشيوخ المتصدرين للتدريس في سوف، خاصة المتكونين محليا، فقد كانت معارفهم لا تعدو أن تكون تحفيظ القرآن[57] الكريم والخط،

للخلافة الفاطمية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983. ص ص 32-33.

(53) محمد الشاذلي النيفر: **زيتونة يكاد زيتها يضيء** ، جريدة الزيتونة، السنة 01، العدد 02، نوفمبر 1953. ص01. وعلي بن حراث: المرجع السابق.

(54) محمد علي دبّوز: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة** ، المطبعة العربية، الجزائر، 1971م. ج 2 ص ص16-17.

(55) لعلّ من بين أهم مظاهر هذا الانصهار والتلاحم، والتأثير والتأثر بين المنطقتين، وجود عدة ألقاب مشتركة، منها: (سوفي، توانسة، عاشور، زلاسي، دقاشي، مسغوني، همامي، غريب،...).

(56) مبروك الشامسي: **مذكرات نفيسة**، مؤسسة إيموبال المطبعة العصرية-الوادي، الجزائر، د.ط، دت . ص ص 55-56.

(57) عثمان زقب: (11/10 نوفمبر 2013)، **نماذج من سياسة التقييد والرقابة للإدارة الاستعمارية على التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1881-1954 (وادي سوف أنموذجا)**، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التواصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.

وفي أحسن الحالات تقديم بعض الدروس السطحية في فقه العبادات، فكان لهؤلاء الطلبة دور مهم في توجيه الرحلة العلمية صوب المراكز العلمية بالجنوب التونسي، حيث وجد الكثير من السوافة في الفرع الزيتوني وزوايا وكتاتيب نفطة وتوزر مستقرا ومقاما لتلقي مختلف العلوم[58]. وبذلك كان عدد الطلبة بتونس يزداد من سنة لأخرى، وهذا بفضل الطلبة القدامى المتخرجين، أو الزائرين لأهليهم في العطل، فيزيدون من نشر الوعي ويرغّبون الشباب في الرحيل لتونس بغرض طلب العلم، فكان لذلك أثر كبير على أقرانهم، من الذين يتوقون للتزود من مختلف العلوم، ووجدوا الأبواب موصدة أمامهم ببلدهم سوف[59].

ح- التهرّب من الخدمة العسكرية:

وهو سبب غير مباشر، يبدأ بهروب الشباب خوفا من أن يقعوا تحت طائلة التجنيد في الجيش الفرنسي، ثم لا يلبث المهاجر أن يبدأ بممارسة حياته في وطنه الجديد، التي تنتهي به أحيانا إلى طلب العلم، بإحدى الزوايا التي احتضنته في غربته[60].

6- البعثات العلمية من وادي سوف نحو الجنوب التونسي:

وللأسباب سالفة الذكر؛ شدّ كثير من شباب منطقة وادي سوف الرحال إلى مراتع العلم ومنابعه، وأقربها لهم منطقة الجنوب التونسي، حيث الحركة العلمية تشهد نشاطا لافتا في ذلك الوقت، بفضل نشاط الزوايا، وخاصة الزاويتين القادرية والرحمانية والفرع الزيتوني في مسجد الفركوس بتوزر، وكان كثير من أساطين العلم يجوبون تلك المراكز، حيث شكل الشباب المهاجر لأجل العلم، أشبه بالبعثات العلمية بالمفهوم الحالي، وهي هجرات تقتصر مدة إقامتها في الغالب، على سنوات طلب العلم والتحصيل، والانتفاع من المراكز العلمية التونسية بالجنوب[61]. وعلى الرغم من مساعدة أهل البر والإحسان، لطلبة العلم بتوفير المسكن والمعاش، فقد يضطر الطلبة إلى تأمين حاجياتهم بأنفسهم، من خلال إقدام بعضهم على استئجار بيت بصورة جماعية، وهذا بدوره يدفعهم للعمل، قصد جمع المال اللازم لتغطية المصاريف المترتبة عن اكتراء المسكن، وتوفير ما يسد الرمق من المأكل[62]. ومن هذه الهجرات ما

---

(58) عاشوري قمعون: **العلاقات الثقافية بين منطقة سوف وبلاد الجريد التونسية** ، المجلة التاريخية المغاربية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، س 41، ع 160، جويلية/يوليو 2015. ص 149.

59- Jamel Haggui: **les Algériens du sud dans la ville de Tunis pendent l'époque colonial 1881-1956 "Mozabite, Soufis, Ouarglias",** mémoire de D. E. A., Université de manouba, Année Universitaire 2003-2004. p87 .

مبروك الشامسي: المصدر السابق. ص51.

(60) عبد الحميد زوزو: **الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919-1939)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985. ص 46.

(61) علي غنابزية: دراسة تاريخية... المرجع السابق. ص69.

(62) محمد الطاهر التليلي: **هذه حياتي** ، من إصدارات دار الثقافة-ولاية الوادي، سامي للطباعة والنشر

يمتد حتى بعد تخرج طالب العلم، وقراره مغادرة حلق العلم، بعدما تبين له أنه أخذ حظا وافرا من العلم والمعرفة، أو اضطرته الظروف لإنهاء دراسته، كالفاقة ومرض أحد الوالدين، وغيرها من الأسباب الشخصية، وما يميز هذه البعثات أن أغلبها فردية حرة، لا تتبع لأي جهة رسمية.

7- أبرز طلبة وادي سوف بالجنوب التونسي:

كثير من طالبي العلم من أبناء الشرق والجنوب الشرقي الجزائري، كانوا يفدون إلى زوايا الجنوب التونسي للتعلم [63]، وتخرّج منها رعيلٌ منهم علماء أفذاذ، طبقت شهرتهم الآفاق مثل الشيخ محمد الأخضر بن حسين، والشيخ محمد بن السايح اللقاني، والشيخ المكي بن عزوز، وعاشور الخنقي ... وغيرهم.

وسنتطرق هاهنا لذكر عينة من بعض الطلبة السوافة، الذين زاولوا دراستهم أو جزء منها في منطقة الجنوب التونسي، وكان لهم صيت في العلم، ودور في بعث الحياة العلمية بسوف وحتى بتونس، مع العلم أن كثير من الأفذاذ في هذا المجال من طواهم النسيان، ولم يبق من ذكرهم عدا الاسم، ولا يوجد معلومات حول سيرهم الذاتية أو العلمية، ناهيك بمن لم تحفظ الذاكرة الجماعية حتى أسماءهم. وعلى ذكر أسماء هؤلاء الطلبة، فقد سبقتهم مجموعة، انتقلت لتونس بغية طلب العلم من معينه، واستوطن بعضهم هناك، ومنهم من ساهم في ربط الاتصال بين المنطقتين، وسعى لتوفير الظروف لغيره ممن حذا حذوه، وهم كثر[64].

ومن طلبة العلم الذين شدوا الرحال إلى منطقة الجنوب التونسي، سعيا للاغتراف من مختلف العلوم الشرعية واللغوية، نذكر:

أ - الشيخ أحمد بن محمد دغمان:

ولد الشيخ أحمد دغمان 1876 ببلدة قمار، وفي كتّاب الحي حفظ القرآن ونال بعض العلوم، ثم انتقل إلى الجريد التونسي، شأنه شأن أبناء المنطقة في القرن 19م، ومن هناك توجه إلى جامع الزيتونة، حيث يعتبر من أبرز طلبة سوف الذين زاولوا دراستهم بالجامع الأعظم، وبعد تخرجه زاول التدريس بمدينة الكاف التونسية، ثم استقدمته زاوية قمار التجانية مدرسا وقاضيا، وكانت له مكاتبات مع الشيخ المكي بن عزوز، وتتضمن مراسلات علمية وأدبية وفقهية[65].

والتوزيع، الوادي-الجزائر، 2017. ص23.

(63) محمد السعيد قاصري: (11/10 نوفمبر2013)، **الطرق الصوفية ودورها في التواصل الحضاري والثقافي بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس** ، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدوليحول: التواصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.

(64) عمار هلال: **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين 19-20م/13-14 هـ**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995. ص 83.

(65) عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**-من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية،

ب - الشيخ الحاج أحمد بالقيم:

ولد الشيخ بالقيم عام 1840 ببلدة قمار، وبها نشأ وبدأ أول تعلمه، ثم رحل للجريد التونسي، لإكمال تعليمه الذي زاوله بزاوية مصطفى بن عزوز بنفطة، كما زاد تعلما للفقه على يد قاضي قمار الشيخ لخضر حمانة، كان يختم القرآن أسبوعيا، وقضى حياته في التدريس، إلى وفاته سنة 1328هـ/1910م[66].

ج- الشيخ إبراهيم العوامر:

العلامة الموسوعي، رجل الدين والتاريخ والقضاء، الشاعر الأديب الأريب، صاحب كتاب الصروف، الشيخ إبراهيم بن محمد الساسي بن محمد بن عامر الملقب بالعوامر، أسرته حديثة الوجود نسبيا بالوادي حيث انتسبت لعرش الشبابطة من قبيلة المصاعبة، ولد سنة 1881م بالوادي، وتربى في بيت متوسط الحال، إذ كان والده بائع صوف في بلدة قمار، حيث كان يصحب ابنه إبراهيم للمتجر ليستعين به ولهيئه للتجارة، وفي نفس الوقت –وكعادة أترابه- كان يحفظ القرآن الكريم، وتلقى دروسا على يد بعض المعلمين، في اللغة "متن الأجرومية" وفي الفقه "متن ابن عاشر"، فحدث تحوّل في شخصيته إذ أصبح مولعا بالمعرفة ينشد العلم حيث كان، ويترصد حلقاته بلهفة وشغف[67].

ولما بلغ أشدّه تجلّت رغبته في الاغتراف من مناهل المعرفة، فارتحل إلى نفطة بالجنوب التونسي وأخذ عن كبار مشايخها في زاوية مصطفى بن عزوز، وبعد عودته إلى الوادي ربط صلته بالشيخين عبد الرحمان العمودي [68] ومحمد العربي بن موسى، اللذيْن ألحّا عليه مواصلة طريق العلم، الأمر الذي شجعه على الالتحاق بجامع الزيتونة، حيث تتلمذ على علمائها أمثال الشيخ النخلي والشيخ حسن بن يوسف والشيخ محمد الأخضر بن حسين، الذي زار سوف عام 1905م وكان لهذه الزيارة تأثير في تلميذه ابن عامر، منها طباعته لكتابين في نفس العام[69].

بيروت-لبنان، ط 2، 1400هـ/1980م. ص 142؛ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي... المرجع السابق. ج4/ ص498.

(66) أنظر علي غنابزية: **مساهمات علماء وادي سوف في النهضة العلمية والحركة الصحفية الوطنية 1900-1986**، إصدار مديرية الثقافة بالوادي، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، 2014. ص 25-26. وأيضا إبراهيم العوامر: المصدر السابق. ص234.

(67) ينظر: عاشوري قمعون: **ديوان الشيخ العلامة إبراهيم بن عامر السوفي 1351-1292/1875-1932م**، مديرية الثقافة، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، 2013. ص 11؛ سعد العمامرة وأحمد منصوري: **أعلام من سوف**، شركة مزوار للطباعة والنشر والإشهار والتوزيع، الوادي. ص30.

(68) **الشيخ عبد الرحمان العمودي** : توفي بالوادي عام 1327هـ/1910م، كانت له مراسلات إخوانية وعلمية مع الشيخ محمد المكي بن عزوز النفطي. مصطفى سالمي: **الدر المصفى من تقاييد الشيخ سالمي مصطفى** ، جمع وتصنيف وتعليق علي غنابزية، مخ، "لدي نسخة منه". ص 20.

(69) علي غنابزية: **رحلات الشيخ محمد الخضر حسين للجزائر (1903-1905) أهدافها الاستراتيجية وأثرها على الحركة العلمية بالمجتمع الجزائري** ، المجلة التاريخية المغاربية، منشورات مؤسسة التميمي-تونس،

بعد تخرج العوامر من جامع الزيتونة استقر به المقام بوادي سوف، فكانت حياته حافلة بالكثير من الأعمال الجليلة، نذكر منها: التدريس والفتوى والإرشاد والتأليف، فقد كان يقدّم دروسا في جامع سيدي المسعود ومسجد سيدي سالم ومسجد النخلة.. للصغار والكبار، حيث كان يحذر المسلمين من تدريس أولادهم في المدارس الفرنسية، ومن أشهر تلاميذ الشيخ ابن عامر: الميداني موساوي، الهاشمي حسني، لزهاري الحرزولي، حمزة بوكوشة... وغيرهم. كما تولى العمل في سلك القضاء في الوادي وأولاد جلال وتقرت، وكان له نشاط فكري معتبر في المنطقة، ورغم قصر حياته إلا أنه خلف ثروة علمية وأدبية ثرية، بين المطبوع والمخطوط نذكر منها[70]:

- مواهب الكافي على التبر الصافي طبع بتونس سنة 1905.
- الصروف في تاريخ سوف الذي طبع سنة 1977م.
- الجواهر الحسان في بعض ما يتعلق بالمعلمين والمتعلمين من حملة القرآن.
- رسالة منظومة في الفلك، فيها تقريبا نحو خمسمائة بيت.
- تقريرات على كتاب الرحمة في الطب والحكمة.

وغيرها من المؤلفات التي تؤكد على مكانة صاحبها المرموقة، بين العلماء في سوف وغيرها، وقد توفي الشيخ ابن عامر سنة 1932 عن عمر يناهز 51 سنة رحمه الله.

د - الشيخ الحسين حمادي:

ولد الشيخ الحسين حمادي بالنخلة سنة 1902م، بدأ تعليمه على يد والده علي حمادي إمام القرية، ثم انتقل إلى نفطة بالجنوب التونسي لإتمام دراسته وعمره حوالي 12 سنة[71]، فدرس بزاوية الشيخ إبراهيم بن أحمد القادرية، حيث تلقى العلم على علماء المنطقة، القارين منهم مثل الشيخ الصمادح والشيخ محمد بن حمد..، أو الشيوخ الزوار الذين يزورون الزاوية من حين لآخر، مثل الشيخ لحْبَيّب. وبعد مكوثه ثماني سنوات تقريبا في مجالس العلم، وبسبب العوز وقلة ذات اليد، اضطر للتوقف عن الدراسة والبحث عن عمل، يساعد به والده المتفرغ للإمامة وتعليم القرآن بالنخلة، فانتهى به المطاف إلى حي أولاد لعمامي ببلدة المكناسي، الذين طلبوا منه المكوث عندهم لتعليم أبنائهم[72].

وفي أثناء إقامته بأولاد لعمامي، تردّد على جامع الزيتونة لإتمام دراسته، فكان في حلقة واحدة مع طلبة أصبحوا لاحقا شيوخا يشار إليهم بالبنان، مثل مفتي الديار التونسية الشيخ

س41، ع 155/154، فيفري/شباط 2014. ص58.

(70) عاشوري قمعون: ديوان الشيخ العلامة.. المرجع السابق. ص ص 41-53؛ سعد العمامرة وأحمد منصوري: المرجع السابق. ص 32.

(71) انظر محمد السعيد عقيب: (11/10 نوفمبر 2013)، **الشيخ الحسين حمادي ونشاطه التعليمي في تونس ووادي سوف** ، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التواصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.

(72) محمد السعيد عقيب: الشيخ الحسين ... المرجع السابق.

محمد الفاضل ابن عاشور، كما كان معه في نفس الفترة طلبة من وادي سوف، منهم الشيخ محمد الطاهر التليلي والشيخ عبد القادر الياجوري والشيخ علي بن سعد خرن، وكانت دراسته على شيوخ أفذاذ مثل: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور[73]، والشيخ محمد النيفر..، لكنه لم يتم دراسته بالزيتونة بسبب إضراب الطلبة سنة 1351هـ/1932م الذي وقع في الزيتونة إثر محنة التجنيس[74]، فلم تقع الامتحانات، وعليه لم تحسب تلك السنة للطلبة، لكن الشيخ الحسين لم يعد للدراسة في قابل العام. وبقي حوالي 18 عاما في تونس ينشر علمه، ولم تنته رسالته تلك في تونس إلا بوفاة والده حوالي سنة 1940م، حيث أوصاه بخلافته على مسجد النخلة، فكان خير خليفة له، إذ تحمل أعباء الإمامة والتدريس والفتوى وإصلاح ذات البين ... إلى أن وافاه أجله المحتوم يوم 15 أفريل سنة 1982م رحمه الله[75].

هـ - الشيخ الصادق بالي:

الشيخ الصادق بن العيد بالي، ولد عام 1920م بحي الفطاحزة، حفظ القرآن الكريم كاملا، على يد الشيخ علي حنكة، وعمره لم يتجاوز خمسة عشرة سنة، ورغم فقده لبصره عند بلوغه السنة الثامنة من عمره، فإن ذلك لم يثن عزمه عن مواصلة دراسته، ثم اتصل بالشيخ الهادي عمامرة بقرية الخبنة، وأخذ عليه مبادئ في الفقه واللغة العربية. انتقل بعدها إلى نفطة بالجنوب التونسي، مع عدد من الطلبة من أبناء المنطقة، في رحلة علمية لمواصلة تعلمهم، حيث أخذ نزرا من العلوم الشرعية على يد بعض شيوخ العلم، ومنهم الشيخ بن حمد النفطي[76]، ثم أكمل تعليمه بجامع الزيتونة، حيث تحصل على شهادة الأهلية عام 1945م، ثم

---

(73) **محمد الطاهر ابن عاشور** 1879-1973: عالم وفقيه تونسي، أصول أسرته منحدرة من الأندلس، تعلم بالزيتونة، ثم أصبح أحد أساطينها، عين قاضيا مالكيا سنة 1911، ثم شيخ الإسلام المالكي وشيخ الزيتونة لعدة فترات امتدت إلى ما بعد استقلال تونس، له= عدة مؤلفات في العلوم الشرعية واللغوية والتربوية، أهمها تفسيره للقرآن الواقع في 30 مجلدا، وعنوانه الكامل "تحرير القول السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد"، ويسمى اختصارا **التحرير والتنوير** . حمادي الساحلي: **فصول في التاريخ والحضارة**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992. ص ص 142-146؛ محمد عبد العزيز بن عاشور: **جامع الزيتونة، المعلم ورجاله** ، دار سراس للنشر، تونس، 1991. ص ص 115-121؛ عاشوري قمعون: **الشقيقان**، مطبعة مزوار، الوادي، 2010. ص15.

(74) حول **محنة التجنيس، ينظر:** حمادي الساحلي: المرجع السابق. ص ص 146، 221-223، 322؛ طارق البشري: **حول تجديد الخطاب الديني ومشاكله**، مجلة الحج والعمرة، شهرية تصدر عن وزارة الحج، السعودية، السنة57، ع05، رجب 1423هـ/سبتمبر-أكتوبر 2002. ص67.

(75) محمد العيد قدع: الشيخ الحسين، المرجع السابق. ص 64.

(76) **الشيخ محمد بن حمد النفطي:** من أعلام الجريد، وعلمائها المعدودين في الحديث والفقه المالكي وعلم الفرائض، أصول عائلته من وادي سوف، ولد بنفطة ودرس بها ثم بالزيتونة، تولى التدريس ببلدته نفطة، خاصة بزاوية الشيخ إبراهيم بن أحمد، ومسجد ضيف الله، قدم الشيخ محمد بن حمد إلى الوادي ودرّس بها في العقد الثالث من القرن 20م، ثم استدعاه الشيخ عبد العزيز الشريف ليدرّس بالزاوية القادرية

شهادة التحصيل عام 1949م، وكان هدفه مواصلة دراسته لنيل شهادة العالمية، لكن انقطع عن الدروس بعد عام واحد لظروف عائلية.

بعد إنهاء دراسته بالزيتونة رجع إلى مسقط رأسه بالفطاحزة، وبدأ نشاطه بتعليم أبناء القرية اللغة العربية والفقه الإسلامي، وشارك في نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالمنطقة، وكان من بين المؤسسيين لمشروع مدرسة عربية حرة بالحي، لكن اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954م حال دون إتمامها، وفي نفس السنة انتقل الشيخ إلى بلدة الحمامات بتبسة أين تولى الإمامة والإفتاء، وتقديم دروس الوعظ والإرشاد، كما تولى مهمة الإفتاء بالمنطقة إلى غاية استقلال البلاد[77].

بالوادي، كما درّس بزاوية سيدي سالم، حيث تعلم على يديه الكثير من الطلبة، وعند اعتقال فرنسا للشيخ عبد العزيز، وغلق مدارسه أعادت الشيخ بن حمد إلى بلده نفطة، توفي الشيخ بن حمد في رجب 1383هـ/10 نوفمبر 1963م بنفطة وقد أعياه المرض. أنظر: عاشوري قمعون: **العلامة الموسوعي حمزة بوكوشة**، مطبعة سخري-الوادي، الجزائر، 2012/1433. ص157؛ إبراهيم مياسي: **الصحراء الجزائرية في ضلال وادي سوف** ، دار هومة، الجزائر، 2014. ص196؛ وصابر سميح: **نفطة بوابة الصحراء تخلّد خليّف**، جريدة دنيا العرب، تونس، الجمعة 2010/10/08. ص10.

(77) سنة 1970م عاد الشيخ إلى مدينة الوادي، وتم تعينه إماما بمسجد العتيق الواقع وسط سوق الوادي "مسجد سيدي المسعود"، ومن الأعمال التي كان يتولاها الشيخ هي تقديم خطب الجمعة، ودروس الوعظ والإرشاد، والإفتاء، والمشاركة في تأطير الندوات التكوينية للأئمة، إلى غاية وفاته سنة 2002 رحمه الله. العمامرة ومنصوري ص ص 108-109.0

و - الأستاذ مصباح مصباحي:

ولد الأستاذ مصباح عام 1935م بالوادي، وبها نشأ وتلقى تعليمه الأول، انتقل إلى الجنوب التونسي، ودرس في الفرع الزيتوني بمدينة توزر، حيث تحصل منه على شهادة الأهلية سنة 1956، وكان من المشاركين في إضراب الطلبة الذي دعت إليه قيادة الثورة يوم 19 ماي 1956م، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة المعمور، أين نال شهادة التحصيل، ثم أوفدته الحكومة المؤقتة إلى مصر ضمن البعثات العلمية لمواصلة مشواره التعليمي في إحدى جامعات القاهرة، فتحصل منها على شهادة الإجازة "الليسانس" [78] تخصص علم الاجتماع ، وله باع في بعض العلوم ومنها اللغة والتاريخ والفكر[79].

وهؤلاء الطلبة هم فيض من غيض، أتينا على ذكرهم، لنستدل بهم على قوافل طلبة العلم، التي كانت تنطلق من وادي سوف باتجاه منطقة الجنوب التونسي، تحدوهم العزيمة لاغتراف العلم من معينه، وبعودتهم للديار كان لهم تأثير في تطوير الساحة الثقافية بمناطقهم، بنشر ما تعلموه، وإثراء الجانب الثقافي بإنتاجهم، ومنهم من فضل المكوث بتونس، وساهموا بقوة في الحياة العلمية بشتى النواحي التي استوطنوها، ردا للجميل، وأداء للرسالة المنوطة بهم.

8- تأثير طلبة سوف الدارسين بالجنوب التونسي:

شهدت سوف حركة علمية في حواضرها الرئيسة "الوادي وقمار والزقم"، بفعل عودة طلبة العلم من الجنوب التونسي أو الزيتونة، وكان غالبيتهم مشبعين بالروح الإصلاحية، مثل الشيخ إبراهيم العوامر بالوادي والشيخ عبد الرحمان معمري بالزقم والشيخ الحسين حمادي بالنخلة، والشيخ محمد الساسي معامير والشيخ عمار بن لزعر بقمار، وهذا الأخير حضر اجتماع العلماء بنادي الترقي بالجزائر العاصمة أوائل شهر ماي 1931م، الذي تمخض عنه تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين [80]، وبما أن الشيخ بن لزعر كان ممثلا لجمعية العلماء بسوف، يحارب الآفات الاجتماعية، والأخلاق الفاسدة، والأفكار والمعتقدات المنحرفة، كما كان

---

(78) نال هذه الشهادة سنة 1963م، وتقلد بعدها عدة مناصب، أولها أستاذ التعليم الثانوي، ثم أصبح أول مدير ثانوية بالوادي، عند تأسيس ثانوية عبد العزيز الشريف سنة 1971م، ثم تقلد منصب مدير ولائي للتربية، إلى أن أحيل على التقاعد، وما زال ينشط بتقديم المحاضرات والمداخلات بمختلف التظاهرات التاريخية، ومنها أنه عضو ناشط ضمن جمعية التاريخ والمعالم الأثرية، وجمعية أول نوفمبر للتاريخ الفكري والثقافي وكلاهما بمدينة قالمة.

(79) لقاءات متعددة مع الأستاذ مصباح مصباحي، ببيت ابنته بحي الرمال بلدية الوادي، وغيرها من الأماكن خلال عامي 2016-2018؛ مصباح مصباحي: **ومضات-من تجاربي التعليمية في تونس ومصر** ، مخطوط لدي نسخة منه سلمه لي كاتبه.

(80) علي غنابزية: **النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف 1931-1938**، القباب، ع01، جوان 2004 ص 34.

يحارب التصوف المنحرف، فإن السلطات الفرنسية ضاقت به ذرعا، ولقي عنتا وحصارا من رجال الطرق الصوفية، النافذين لدى الإدارة الاستعمارية، حتى اضطر للهجرة خارج الديار، واستقر به المقام بالمدينة المنورة عام 1937م.

لكن الفكر الإصلاحي بدأ ينتشر في المنطقة ولو باستحياء، إلى حين اعتناق شيخ القادرية عبد العزيز الشريف للفكر الإصلاحي[81]، فزاد نشاط جمعية العلماء واتسع نطاقها وكثر أتباعها وزادت شعبها، وبفضل نشاطات الشيخ عبد العزيز، تم تأسيس مدارس للجمعية بعميش والوادي والزقم وقمار والرقيبة، كما تم تنظيم زيارة وفد جمعية العلماء إلى الوادي في ديسمبر 1937م يتقدمهم رئيس الجمعية الشيخ عبد الحميد ابن باديس، حيث كان لهذه الزيارة أثرها في تذكية النهضة الفكرية والعلمية بالمنطقة [82]، لكن هذا النشاط خبا بمجرد اعتقال الشيخ عبد العزيز ورفاقه، ليتجدد بعد الحرب العالمية الثانية، لكن تركزه الأخير كان بمدينة قمار. كما أحدث هؤلاء الشيوخ ثورة علمية، بتجديدهم للمعارف، وإحياء ما اندرس منها، وتدريسهم لعلوم –رغم تواضعها- لم تكن معهودة عند طلبة العلم بسوف، فكان التعليم القرآني هو الأساس، وبهامشه يقدمون دروسا في العلوم اللغوية والدينية خاصة في الفقه المالكي[83].

إضافة إلى ما سبق، كان المتخرجون من مراكز الجنوب التونسي والزيتونة، يقومون بوعظ السكان وإرشادهم، في المساجد والزوايا، وحتى في اللقاءات العامة، أو الخاصة في بيوت بعض العلماء، واشتهرت هذه الظاهرة، بالحواضر الثلاث الوادي قمار والزقم، وإذا بالمساجد وقد تعرضت فيها الحلقات التي تعجّ بالشيوخ لوضع المتعلمين على المحجّة، بعد أن كانوا في ظلماتهم يعمهون، والكثير من معلمي الكتاتيب بوادي سوف، هم خريجي المراكز العلمية ببلاد الجريد التونسي. وقد أفضت جهود هؤلاء المصلحين إلى تكوين رعيل واع، ووجود قامات علمية هامة، على غرار من ذكرنا، ومنهم كذلك على سبيل المثال لا الحصر:

من المتصدرين للمشهد الثقافي الذين كانوا بحاضرة الوادي الشيخ الصادق بلهادي 1875-1939م، الذي عمل باش عدل بمحكمة الوادي، والشيخ الطاهر العبيدي، والشيخ الميداني موساوي إمام المسجد العتيق 1939م، والشيخ لزهاري الحرزولي، الذي كان حجة في الميراث، ودرّس بزاوية سيدي سالم الرحمانية. 84

<u>وفي حاضرة قمار</u>: وجد بها الشيخ محمد الصالح بن الخوص ىالقماري، الذي علم القرآن

---

(81) جريدة البصائر (لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، **في وفد الجمعية بالجنوب**، ع95، 12 ذي القعدة 1356هـ/14 جانفي 1938م. ص 04.

(82) موسى بن موسى: (1426-1427هـ/2005-2006م)، **الحركة الإصلاحية بوادي سوف-نشأتها وتطورها (1900-1939)**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة. ص 180.

(83) محمد العيد قدع: الشيخ الحسين حمادي... المرجع السابق. ص95.

(84) عاشوري قمعون: الشقيقان، المرجع السابق 2010. وأيضا موسى بن موسى: الحركة الإصلاحية... المرجع السابق. ص138.

بالزاوية التجانية، وكان يقوم بنسخ المصاحف، ويكتب القصائد، والشيخ أحمد بن القا القماري 1884-1939م، كان ضريرا، وقد درّس متن ابن عاشر في الفقه والآجرومية في اللغة[85].

أما في الزقم: فكان بها الشيخ محمد الساسي بن الحاج محمد الساسي الزقيمي وكنيته "معامير"، مؤلف كتاب "التقويم الجزايري" الصادر عام 1927م، والشيخ عبد الرحمان معمري إمام المسجد العتيق "مسجد العدواني"، والشيخ مسعود عباسي إمام مسجد الأصفر وكان فقيها بارزا[86].

وعلى الرغم من أن النشاط الثقافي كان أكثر انتشاره في الحواضر التي ذكرنا، فإنه ليس حكرا عليها، فقد شهدت بعض القرى الأخرى حركة لبعض المصلحين، ومنهم من تخرج من زوايا الجنوب التونسي، مثل الشيخ الحسين حمادي أصيل بلدة النخلة، الذي أحدث حركة علمية في بلدته، يمكن أن ننعتها "ثورة ثقافية"، فقد أخرجها من وهدة الجهل والأمية[87].

على أن تأثير هؤلاء تعدى منطقة وادي سوف، فقد كان لبعضهم دور في نشر العلم في مناطق عديدة بما فيها القطر التونسي نفسه، مثل الشيخ الحسين حمادي الآنف الذكر، الذي ظل حوالي 18 سنة، في حي أولاد لعمامي بالمكناسي، يعلم الصبية القرآن وبعض العلوم، ولم يعد بصفة نهائية إلى بلدته النخلة إلا بسبب وفاة والده الذي أوصاه بخلافته على المسجد، والشيخ العروسي لغريسي الذي هاجر مضطرا للجنوب التونسي، وكان مصلحا ذا فكر نيّر [88]، والطالب عمارة دبيلي [89] والطالب محمد الكبير خالدي [90]، الذي كان له كتّاب بقرية الرديف، والطالب العربي بن سعد[91] الذي درّس بتونس في مناطق عدّة، وغير ما ذكرنا كثير.

كما كان بعض الكتاب والعلماء من وادي سوف، ينشرون إنتاجهم، ويبثون لواعجهم، ويفتقون قرائحهم، عبر الصحف وأبرزها جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مثل

---

(85) محمد الطاهر التليلي: **من تاريخ وادي سوف**، مخ، "لدي نسخة منه". ورقات 83-84، 91.

(86) عثمان زقب: الأوضاع الاقتصادية.. المرجع السابق. ص 178.

(87) محمد العيد قدع: الشيخ الحسين حمادي.. ص 95-99 107.

(88) نفسه. ص 109.

(89) **الطالب عمارة دبيلي** المدعو "عمارة بلميعادي": من سكان النخلة، هاجر إلى بلدة الرديف بالجنوب التونسي، وفتح هناك "محضرة" أي مدرسة قرآنية، كما كان كاتبا للشيخ لخضر "شيخ الفرجان" بالرديف. لقاء مع محمد الأمين حمادي، ببيته الكائن بحي الشهداء-بلدية الوادي، يوم 27 أكتوبر 2011.

(90) **محمد الكبير خالدي**: أصيل قرية العقلة بوادي سوف، حفظ القرآن لدى الشيخ الحسين حمادي، هاجر الى الرديف وفتح بها كتّابا، ثم عمل أمين سر الطالب العربي قمودي، ولديه شهادات مهمة حول بعض أحداث الثورة الجزائرية بتونس. لقاء مع الطالب محمد الكبير خالدي، ببيته الكائن بحي الصحن الأول-بلدية الوادي، يوم 11 مارس 2012.

(91) **الطالب بن علي العربي بن سعد** : من عرش أولاد مبروكة، وأصله من بلدة النخلة بوادي سوف، درس بتونس، وعلى الرغم من أنه كان كفيفا، فقد كان موسوعة في القرآن - كما يقال -، درّس بعدة بقاع من تونس. محمد العيد قدع: الشيخ الحسين، المرجع السابق. ص 47.

الشيخ حمزة بوكوشة والشيخ عبد القادر الياجوري والشيخ مصباح حويذق وغيرهم، بينما وصل الأمر ببعضهم أن طبع بعض مؤلفاته، ومنهم الشيخ ابرهيم بن عامر الذي طبع "مواهب الكافي" و"البحر الطافح" و"المسائل العامرية"... وغيرها، مع العلم أن إنتاجه غزير حيث أن مؤلفاته المعروفة تناهز الثلاثين، كما قام الشيخ محمد الساسي معامير 1880-1967م بطبع "التقويم الجزائري" و"مشاهداتي في الجزائر" و"مشاهداتي في قسنطينة"[92].

9- زيارات العلماء:

تعتبر الزيارات العلمية التي يقوم بها العلماء والمشايخ من مناطق الجنوب التونسي لوادي سوف، إحدى أبرز أشكال التواصل العلمي بين المنطقتين، والمتتبع يلاحظ أن هذه الزيارات ليست بجديدة على المنطقة، فهي قديمة جدا، وذات تأثير بالغ، سواء في ربط العلاقات بين المنطقتين، أو في نشر العلم والصلاح في منطقة سوف، كما أنها تنفض الغبار الذي ران على العقول، وتبدّد الجهل، وتنير المدلهمات، خصوصا في غياب الوعي لسكان المنطقة، بفعل السياسة الاستعمارية، بالإضافة إلى حياة البداوة والترحال التي يعيشونها، حيث أنهم حديثو العهد بالتحضر، الأمر الذي نتج عنه غياب مراكز الإشعاع العلمي والديني، وأبرز ما وصلنا من زيارات العلماء لمنطقة سوف قديما، زيارة الشيخ المسعود الشابي ت 1618م، وقبلها زيارات علماء الاباضية...

– الشيخ محمد الأخضر بن حسين[93]:

كانت للشيخ محمد الأخضر حسين زيارة لمنطقة سوف عام 1905م، فكانت له لقاءات بأعيانها ومنهم الشيخ إبراهيم العوامر، كما ألقى دروسا في مساجدها، وحاور بعض الشيوخ في زاوية سيدي سالم وجامع سيدي المسعود والمسجد الذي أسسه والده الشيخ الحسين، وقد تركت هذه الزيارة أثرا كبيرا في المنطقة، ومنها طبع العوامر لكتابين في نفس السنة بالقطر التونسي[94].

- الشيخ المكي بن عزوز:

زار شيخ الزاوية الرحمانية بنفطة محمد المكي بن عزوز وادي سوف، وتجول في قراها حيث درّس بالزوايا والمساجد بالوادي وقمار وكوينين، وربط علاقات وطيدة مع علمائها، وأخذ إجازة علمية عن الشيخ علي بن صابر، الذي كان يتنقل كثيرا بين سوف وبلاد الجريد التونسي، فأخذ

---

(92) علي غنابزية: **مساهمات علماء وادي سوف في النهضة العلمية والحركة الصحفية الوطنية 1900-1986**، من إصدارات مديرية الثقافة بالوادي، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، 2014. ص31، 33-36.

(93) حول ترجمة الشيخ محمد لخضر بن حسين، ينظر: محمد مواعدة: **محمد الخضر حسين-حياته وآثاره**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974؛ محمد عمارة : **من أعلام الاجتهاد الإسلامي الحديث الإمام الأكبر الشيخ الخضر حسين**، مجلة الدوحة، ماي1986، ص ص20-23.

(94) عاشوري قمعون: العلاقات الثقافية... ص 158؛ علي غنابزية: رحلات الشيخ محمد الخضر... ص ص 56-58.

عنه الشيخ المكي صلوات ابن ملوكة التونسي، كما كانت للمكي بن عزوز مراسلات مع مشايخ من سوف، منهم الشيخ أحمد بن دغمان، والشيخ البشير بوكوشة [95]، وأجاز الشيخ الطاهر العبيدي 1886-1968 عن طريق المراسلة من إسطنبول سنة 1886هـ، كما أجاز البشير بكوشة بنفس الطريقة وهو بالآستانة[96].

- الشيخ العربي بن عمار[97]:

إن قدوم الشيخ العربي بن عمار [98] إلى وادي سوف كان بفضل العلاقات بين منطقتي وادي سوف ومنطقة الجنوب التونسي، فقد قدم جده البعيد عبيد من توزر إلى بلدة سيدي عون، وكذلك والده أحمد بن عمار قدم لقرية السويهلة. وأما العامل المباشر فلأن بعض أعيان بلدة سيدي عون بوادي سوف يزاولون التجارة مع بلدات الجنوب التونسي، اتصلوا به مقترحين عليه التدريس في بلدتهم، فوافق اقتراحهم هواه، وقدم معهم في صيف عام 1947م، حيث شرع في توعية ووعظ الكبار بالمسجد، ولما انتهى الصيف فتح مدرسة حرّة للصغار، كان مقرها بغرف المنازل، وقام بأول سابقة في سوف وهي فتح قسم للبنات. وبجانب تدريسه

---

(95) **البشير بن أحمد بن بوكوشة:** ولد بمدينة الوادي خلال 1867م، حفظ القرآن في سن مبكرة، امتاز بجودة الخط، حيث نسخ من القرآن 65 نسخة من مختلف الأحجام، كان تاجرا بمدينة بسكرة، وكان تقيا ورعا حيث كان عليه دين كبير لبعض اليهود جراء الأزمة الاقتصادية العالمية، فحاول بعضهم إقناعه بإنكار الدين لأنهم يهود، فرفض قائلا لهم: "لن أترك جلدي تلتهمه النار، بسبب حطام الدنيا"، أجازه الشيخ المكي بن عزوز في حديث: " **الراحمون يرحمهم الرحمان** ..." بسنده إلى رسول الله ﷺ، توفي يوم 07 فيفري 1933م على إثر مرض السكري، ودفن بمقبرة الأعشاش بالوادي. عاشوري قمعون: العلامة الموسوعي...المرجع السابق. ص12.

(96) الشيخ عبد الحميد بن باديس: **العلامة الأستاذ الشيخ المكي بن عزوز** ، مجلة الشهاب، ج1،مج13، عدد 01 محرم 1356هـ/14 مارس 1937م. ص ص 26-27؛ علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال... مرجع سابق ص72.

(97) **الشيخ العربي بن عمار:** هو العربي بن أحمد بن العربي بن صالح بن عمار من أولاد عبيد، ولد يوم 1926/07/22 بتوزر، وهو صغير قدم أبوه بأسرته للسويهلة بسيدي عون معلما للقرآن وإماما، وما لبث أن توفي والده عام 1929م، فعادت به أمه إلى توزر عام 1931م، وكان اهتمامها به كبيرا، حيث أدخلته إلى زاوية الشيخ المولدي بوعرقية التي مكث يدرس بها عشر سنين، ثم التحق بجامع الزيتونة عام 1939م، وتخرج منه بشهادة العالمية، زاول التدريس بين وادي سوف وتونس إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1987م، كان شاعرا ومفسرا للقرآن الكريم. ينظر: بشيرة شكيمة: **الإسهامات الإصلاحية والفكرية للمهاجرين السوافة بتونس "الشيخ العربي بن عمار أنموذجا" (1947-2015)**، مذكرة ماستر، شعبة التاريخ، جامعة الوادي، الجزائر، 1438-1439هـ/2017-2018. ص ص23-27.

(98) **عائلة بن عمار:** نزح جدهم عبيد من توزر إلى قرية سيدي عون بوادي سوف في القرن 18م، حيث تزوج إحدى بنات سيدي عون الحفيد مؤسس قرية سيدي عون، ومن أبنائه من عاد إلى توزر، ومنهم من بقي بسيدي عون، فأما الذين عادوا إلى تونس فلقبوا بن عمار، ومن بقي منهم بسيدي عون لقبهم صالحي. بشيرة شكيمة: المرجع السابق. ص 22.

للعربية والحساب والفقه وغيرها، كان الشيخ يبث الفكر الإصلاحي، الأمر الذي أثار حفيظة بعض رجال الطريقة التجانية الذين وشوا به للإدارة الفرنسية، فبدأت مضايقات السلطات الاستعمارية التي كادت أن تنتهي به إلى السجن، وفي أواخر 1951 عاد إلى تونس بعد أن تناهى إلى سمعه أن إدارة الاحتلال تنوي القبض عليه وتصفيته، فعاد إلى تونس مضطرا وأغلقت المدرسة أبوابها[99]، وقد دام نشاطه العلمي بسوف بين سنتي 1947-1951م.

خاتمة:

إن تأثير المراكز العلمية بالجنوب التونسي في الجانب الثقافي بمنطقة وادي سوف يبرز من خلال تكوّن طلبة سوف في تلك المراكز، وبعودتهم إلى الديار نشروا علومهم بين تلاميذهم، وفي نفس الإطار تدخل المجهودات التي بذلها علماء الجريد في نشر الوعي بين أهل سوف من خلال زياراتهم للمنطقة.

الملاحظ أن الرحلة العلمية كانت من وادي سوف منطلَقا، وإلى الجنوب التونسي مقصدا، والعكس بالنسبة لزيارات العلماء، فقد كانت بتحرك العلماء من الجنوب تونسي، حيث يقصدون سوف لنشر الوعي بين أهله. إن رحلة أبناء سوف في طلب العلم لم تقتصر على منطقة محددة من القطر التونسي، لكنها في الغالب تبدأ من الجنوب التونسي.

يفضل أغلب الطلبة من وادي سوف مراكز الجنوب التونسي، مع وجود مراكز علمية بالجزائر، مثل بسكرة وقسنطينة التي شهدت نهضة علمية، والتي كان من ثمارها تأسيس معهد ابن باديس، وهذا لأسباب أبرزها: القرب الجغرافي فنفطة من بلاد الجريد التونسي لا تفصلها عن سوف سوى 129 كلم، بينما تبعد عنها بسكرة 220 كلم، أضف إلى ذلك العامل التاريخي، حيث ترسخ الرحلة بين سوف ومناطق الجنوب التونسي، خاصة بلاد الجريد، وهذا ما يؤكد قوة الروابط بين المنطقتين.

تعرف الطلبة أثناء وجودهم بالجنوب التونسي، على فضاء جديد مكّنهم من اكتساب المعارف والمهارات، ورغم سياسة التسلط الاستعماري، والفاقة وقساوة الظروف الطبيعية، أثبت أبناء سوف جدارتهم، في التحصيل العلمي. شكلت الجالية الطلابية من أهل سوف في الجنوب التونسي، إضافة جديدة في رصيد المهاجرين السوافة، وهو ما زاد في تمتين جسر العلاقات الثقافية بين المنطقتين، فكان لهؤلاء الطلبة دور فعّال في تمتين عرى وروابط الأخوة وتعزيز أواصر اللحمة بين سكان المنطقتين.

ساهم الطلبة السوافة مساهمة فعّالة في الحياة العلمية، بالمنطقة وما جاورها بعد عودتهم من المهجر كنخبة مثقفة، حيث قاوموا السياسة التعليمية الفرنسية، فحافظوا على شخصية الأمة الجزائرية بصبغتها العربية والإسلامية من الذوبان والانحلال، إلى غاية استعادة السيادة الوطنية، وبعد الاستقلال كانوا المسؤول الكفء، والإطار الناجح، الذي تحمّل عبء

(99) نفسه، ص ص31-48.

معركة البناء والتعمير.

كما كان لزيارات العلماء المتبادلة خاصة من الجنوب التونسي إلى وادي سوف أثر في التواصل، هذه التنقلات التي كانت؛ بحكم الأصل أحيانا، وبحكم الروابط الروحية عبر الطرق الصوفية أحيانا أخرى، أو الإحساس بالواجب تجاه أهل الملة الواحدة وعلاقات الجوار، فكانت زياراتهم بذرة مبكرة لحركة الإصلاح، وإرهاصا لنهضة فكرية بتجديد العلوم، ونشر الوعي، وتشجيع الطامحين للسير في هذا الطريق بخطى وئيدة واثقة مستبصرة، فاستطاعت هذه المنطقة النائية، بين كثبان العرق الشرقي أن تنجب ثلة من العلماء كانوا روادا في القيام بحركة علمية وفكرية بالمنطقة، وكانت سببا في استماتة المجتمع أمام مخططات السياسة الاستعمارية في المجال الثقافي.

إزاء السياسة الاستعمارية المبنية على التجهيل وتزييف تاريخ المنطقة وجغرافيتها، والرامية إلى طمس هويتها، فإن الجزائريين ومنهم أهل سوف لم يقفوا مكتوفي الأيدي، بل أخذ طلاب العلم على عاتقهم، إحياء ما اندرس من التعليم العربي الإسلامي، وتجديد قديمه والنهوض به، ولم يفتّ في عضدهم سعي الاحتلال بكل الوسائل لإخماد جذوة الإسلام عبر القضاء على اللغة العربية بهذه الربوع، وهو ما مكّن من تكوين نخبة ذات توجه عربي إسلامي، أبقى للأمة هويتها وانتمائها الحضاري العربي والإسلامي.

مصادر ومراجع البحث:

أولا: المصادر

- أحمد توفيق المدني: **جغرافية القطر الجزائري**، مطبعة الشريف، تونس، دت.
- الأرشيف الوطني التونسي: مجموعة A. علبة 278. ملف 1/14.
- إبراهيم العوامر: **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف** ، تعليق الجيلاني العوامر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1397هـ/ 1977م.
- أبو القاسم سعد الله: **تجارب في الأدب والرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.
- أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، المطبعة العربية، دم، دت.
- أحمد توفيق المدني: **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1956.
- أوغست–أنطوان دي باتي دي كلام: **ومضات من تاريخ نفطة** ، تع لطفي الطرودي، مطبعة الجريد، نفطة، 2009.
- جان بول سارتر: **عارنا في الجزائر**، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، دت.
- جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين **في وفد الجمعية بالجنوب** ، ع95، 12 ذي القعدة 1356هـ/14 جانفي 1938م.
- عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر** -من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت-لبنان، ط2، 1400هـ/1980م.
- فرحات عباس: **ليل الاستعمار**، تر عبد العزيز بوباكير، دار القصبة- الجزائر، 2005م.
- محمد الطاهر ابن عاشور: **أليس الصبح بقريب؟** "التعليم العربي الإسلامي"، دار سحنون، تونس، ط 3، 2010م.
- Ahmed Nadjah: **Le souf des Oasis**, Edition la maison des livres, Alger, 1971.

- Académie d'Alger: **bulletin Scolaire du du département de Constantine "Enseignement primaire"**, n° 7-8-9, Juillet-Aout-septembre, Année 1912.
- Capitaine Ferry: **traveaux dans l'annexe, plan d'urbanisme,** 1947-1948.
- Ecole d"indigénes d"Eloued: **Registre Matricule des éléves admis à l"ecole du 1886 à 1904.**
- Ecole primaire preparatoire de garçons de Kuinine: **Registre Matricule des éléves de l"ecole du 01 Octobre 1921.**
- Général P. J. André: **Confreries Religieuse Musulmanes,** Edition la maison de livre, Alger, 1956.
- Gouverneur générale de l'Algerie: **Commissariat générale du centenaire, les territoires du sud de l'Algérie, Alger,1929.**
- Jamel Haggui: **les Algériens du sud dans la ville de Tunis pendent l'époque colonial 1881-1956 "Mozabite, Soufis, Ouarglias",** mémoire de D. E. A., Université de manouba, Année Universitaire 2003-2004.
- La Scolarisation dans les territoires du sud: Réalisation des années 1945-1946-1947, document Algérien N° 14, 15 mars 1948.
- Réalisation dans l'annexe d'El-oued, Document Algerien n°21, serie politique, 15 dec 1948.

ثانيا: المراجع

1- الكتب

- إبراهيم مياسي: **الصحراء الجزائرية في ضلال وادي سوف**، دار هومة، الجزائر، 2014.
- أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية**، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط4، 1992م.
- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 1998.
- أبو القاسم سعد الله: **خارج السرب - مقالات وتأملات**، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- أبو القاسم سعد الله، **أفكار جامحة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
- أبو القاسم سعد الله، **قضايا شائكة**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990.
- أحمد مريوش وآخرون: **الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني** ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، 2007.
- تركي رابح: **أصول التربية والتعليم**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1990.
- حمادي الساحلي: **فصول في التاريخ والحضارة**، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1992.
- سعد العمامرة وأحمد منصوري: **أعلام من سوف**، شركة مزوار للطباعة والنشر والإشهار، الوادي.
- عاشوري قمعون: **الشقيقان**، مطبعة مزوار، الوادي، ط1، 2010.
- عاشوري قمعون:**العلامة الموسوعي حمزة بوكوشة**مطبعة سخري-الوادي، الجزائر، ط1، 1433/2012.
- عاشوري قمعون: **ديوان الشيخ العلامة إبراهيم بن عامر السوفي 1351-1292/1875-1932م**، مديرية الثقافة، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2013.
- عبد الحميد زوزو: **الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919-1939**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985.
- عبد الرشيد زروقة: **جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر 1913-1940**، دار الشهاب، بيروت- لبنان، ط1، 1420/1999.
- عبد العزيز الشهي**الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر**دار الغرب للنشر والتوزيع.

- عبد الوهاب جعفر: **البنيوية في الانثربولوجيا وموقف سارتر منها**. دار المعارف، مصر، 1989م.
- علي غنابزية: **دراسات في تاريخ المقاومة الثقافية بالجزائر للحفاظ على الهوية الوطنية**، مطبعة مزوار، الوادي-الجزائر، ط1، 2011.
- علي غنابزية: **مساهمات علماء وادي سوف في النهضة العلمية والحركة الصحفية الوطنية 1900-1986**، إصدار مديرية الثقافة بالوادي، مطبعة مزوار-الوادي، الجزائر، ط1، 2014.
- عمار عمورة: **موجز في تاريخ الجزائر**، دار ريحانة للنشر والتوزيع، القبة- الجزائر، ط1، 2002م.
- عمار هلال: **العلماء الجزائريون في البلدان العربية الاسلامية فيما بين القرنين 19-20م/13-14 هـ**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995. 1400هـ/1980م.
- مالك بن خليف: **الفكر السياسي عند العلامة عبد الحميد بن باديس**، دار طليطلة، الجزائر، ط 1، 1432هـ/2010م.
- محمد الصالح الجابري: **النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900م-1962م**، الدار العربية للكتاب، والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس والجزائر، 1983م.
- محمد الصالح مرمول:**السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية**ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1983.
- محمد العيد قدع: **الجهود التعليمية للشيخين ابن عاشور وابن باديس- دراسة مقارنة**، مطبعة نور للنشر، ألمانيا، 2017.
- محمد العيد قدع: **الشيخ الحسين حمادي دوره الاجتماعي ونشاطه العلمي والتربوي بتونس ووادي سوف 1902-1982م**. مطبعة ذويب، الوادي-الجزائر، ط1، 2013.
- محمد عبد العزيز بن عاشور: **جامع الزيتونة، المعلم ورجاله**، دار سراس للنشر، تونس، 1991.
- محمد علي دبّوز: **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، المطبعة العربية، الجزائر، ط1، 1971م.
- محمد مواعدة: **محمد الخضر حسين-حياته وآثاره**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974.
- محمد مورو: **الجزائر تعود لمحمد ﷺ**، المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، 1992م.
- يحي بوعزيز: **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954**، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.

2- الصحف:

- الشيخ عبد الحميد بن باديس: **العلامة الأستاذ الشيخ المكي بن عزوز**، مجلة الشهاب، ج1،مج13، عدد 01 محرم 1356هـ/14 مارس 1937م.
- صابر سميح: **نفطة بوابة الصحراء تخلّد خليّف**، جريدة دنيا العرب، تونس، الجمعة 2010/10/08.
- طارق البشري: **حول تجديد الخطاب الديني ومشاكله**، مجلة الحج والعمرة، شهرية تصدر عن وزارة الحج، السعودية، السنة57، ع05، رجب 1423هـ/سبتمبر-أكتوبر 2002.
- عاشوري قمعون: **الشيخ الهاشمي حسني 1320-1410/1902-1989 ودوره في الحركة الإصلاحية والوطنية**، مجلة الباحث-المركز الجامعي بالوادي-الجزائر، ع1، يونيو 2010م.
- عاشوري قمعون: **العلاقات الثقافية بين منطقة سوف وبلاد الجريد التونسية**، المجلة التاريخية المغاربية، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، س41، ع160، جويلية/يوليو2015.
- عبد القادر حميد: **لماذا حُرقت كتب جان بول سارتر بالجزائر؟** مقال نشر في جريدة المستقبل الالكترونية، يوم 2010/03/20.
- علي غنابزية: **النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف 1931-1938**، القباب، ع01، جوان 2004.

- علي غنابزية: **دراسة تاريخية لمناهج تعليم القرآن الكريم بين الماضي والحاضر"** مجتمع وادي سوف نموذجا"، مجلة البحوث والدراسات-المركز الجامعي بالوادي-الجزائر، ع4، محرم1428هـ/يناير2007م.
- علي غنابزية: **رحلات الشيخ محمد الخضر حسين للجزائر 1903-1905 أهدافها الاستراتيجية وأثرها على الحركة العلمية بالمجتمع الجزائري**، المجلة التاريخية المغاربية، منشورات مؤسسة التميمي-تونس، س 41، ع 155/154، فيفري/شباط 2014.
- محمد السعيد عقيب: **جمعية الشباب السوفي الزيتوني** ، مجلة البحوث والدراسات-المركز الجامعي بالوادي-الجزائر، ع3، جمادى الاولى 1427هـ/جوان 2006م.
- محمد الشاذلي النيفر: **زيتونة يكاد زيتها يضيء**، جريدة الزيتونة، السنة 01، العدد 02، نوفمبر1953.
- محمد المختار بن محمود: **حكم الله في التجنيس** ، الزيتونية-مجلة شهرية تصدر عن جامع الزيتونة، مج 01، ج10، ربيع الثاني 1356هـ/جوان 1937.
- محمد عمارة : **من أعلام الاجتهاد الإسلامي الحديث الإمام الأكبر الشيخ الخضر حسين** ، مجلة الدوحة، ماي1986.
- يحي بوعزيز: **أوضاع الجزائر خلال ثورة أول نوفمبر**، مجلة الشهاب الجديد، عدد03، الجزائر، 2004.

3- الملتقيات:

- عبد الكامل عطية: 11/10 نوفمبر 2013، **نماذج من الرحلات العلمية للطلبة "السوافة" نحو القطر التونسي قبل اندلاع الثورة التحريرية 1954م**، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التواصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.
- عثمان زقب: 11/10 نوفمبر2013، **نماذج من سياسة التقييد والرقابة للإدارة الاستعمارية على التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1881-1954 وادي سوف أنموذجا**، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التواصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.
- علي بن حراث: 11/10 نوفمبر 2013، **أسباب تركيز الرحلة العلمية الجزائرية على تونس**، مداخلة ضمن الملتقى الدولي حول: التواصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.
- محمد السعيد عقيب: 11/10 نوفمبر 2013، **الشيخ الحسين حمادي ونشاطه التعليمي في تونس ووادي سوف**، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التواصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.
- محمد السعيد قاصري: 11/10 نوفمبر 2013، **الطرق الصوفية ودورها في التواصل الحضاري والثقافي بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس**، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التواصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس، قسم العلوم الإنسانية جامعة الوادي-الجزائر.
- **هجرة الجزائريين إلى تونس بين تلبية الحاجيات الاجتماعية وإحداث التكامل الثقافي في النصف الأول من القرن 14هـ/20م. وادي سوف أنموذجا**، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول: التواصل الحضاري بين الجنوب الشرقي للجزائر وتونس 11/10 نوفمبر 2013، قسم العلوم الإنسانية بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الوادي-الجزائر.

4- الرسائل الجامعية:

- إبراهيم شويخ: 2018/2017، **الرحلات العلمية وأثرها في الحياة الثقافية بمنطقة وادي سوف 1931-1969م**، مذكرة ماستر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الوادي، الجزائر.

- بشيرة شكيمة: 1438-1439هـ/2017-2018، **الإسهامات الإصلاحية والفكرية للمهاجرين السوافة بتونس "الشيخ العربي بن عمار أنموذجا" 1947-2015**، مذكرة ماستر، شعبة التاريخ، جامعة الوادي، الجزائر.
- رابح فلاحي: 1428هـ/2007-2008م، **جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر 1908-1954**، ماجستير التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار- جامعة منتوري- قسنطينة، الجزائر.
- عثمان زقب: 2006/2005، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة وادي سوف 1918-1947 وتأثيرها على العلاقات مع تونس وليبيا**، رسالة ماجستير، مخ، قسم التاريخ، جامعة باتنة، الجزائر.
- عز الدين معزة: 2009-2010م، **فرحات عباس والحبيب بورقيبة "دراسة تاريخية وفكرية مقارنة، 1899-2000"**، دكتوراه التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.
- علي غنابزية: 2008-2009، **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية** 1300-1374هـ / 1882-1954م، رسالة دكتوراه، مخ، قسم التاريخ، جامعة الجزائر.
- موسى بن موسى: 1426-1427هـ/2005-2006م، **الحركة الإصلاحية بوادي سوف-نشأتها وتطورها 1900-1939**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة.

5- المقابلات الشفوية:

- لقاء مع الشيخ حمد توبة، بمنزله بقرية جلمة بلدية المقرن-ولاية الوادي، يوم 2012/01/14، 16:00
- لقاء مع الطالب محمد الكبير خالدي، ببيته الكائن بحي الصحن الأول-بلدية الوادي، يوم 2012/03/11.
- لقاء مع محمد الأمين حمادي، ببيته الكائن بحي الشهداء-بلدية الوادي، يوم 27 أكتوبر 2011.
- لقاءات متعددة مع الأستاذ مصباح مصباحي، ببيت إبنته بحي الرمال بلدية الوادي، وغيرها من الأماكن خلال عامي 2016-2018.

6- المذكرات الشخصية والمخطوطات

- مبروك الشامسي: **مذكرات نفيسة**، مؤسسة إيموبال المطبعة العصرية-الوادي، الجزائر، د.ط، دت.
- محمد الطاهر التليلي: **من تاريخ وادي سوف**، مخ، "لدي نسخة منه".
- محمد الطاهر التليلي: **هذه حياتي**، من إصدارات دار الثقافة-ولاية الوادي، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي-الجزائر، 2017.
- مصباح مصباحي: **ومضات-من تجاربي التعليمية في تونس ومصر**، مخطوط لدي نسخة منه سلمه لي كاتبه.
- مصطفى سالمي: **الدر المصفى من تقاييد الشيخ سالمي مصطفى**، جمع وتصنيف وتعليق علي غنابزية، مخ، "لدي نسخة منه".